

## Interpretive Circle and the Process of Understanding (philosophical hermeneutics as an example)

**Nisreen Shaker Hakim**

PhD student in Comparative Interpretation, Bintul-Huda Foundation for Islamic Sciences, Iran.

E-mail: [zahra599.569@gmail.com](mailto:zahra599.569@gmail.com)

### Abstract

Hermeneutic theory, since its coming into the field of religious understanding firstly, and all other fields of human understanding in general, has had a distinctive position that made the theory the focus of attention of scholars and thinkers. Hermeneutic theory has begun with the Bible in classifying, its being an effective tool in dealing with human sciences, and finally its involving in the ontological philosophical field; therefore, it has become, with the Bible, an ontological expression of human existence and an argument leading to it. One of the important concepts in the scope of hermeneutics is the concept of interpretive circle, which sees that the meanings of sentences are determined by the total meaning of the text. Understanding, then, is not pursued "vertically" by placing beliefs on top of foundations, but rather "circularly", in an explanatory movement back and forth between the possible meanings of our assumptions that, in turn, allow the question to arise. So, the pursuit of understanding is not constructed according to the principle of "higher and higher"; rather, it goes "deeper and deeper", and becomes "completer and completer." Hence, this circle had a distinct meaning in the philosophical trend of Hermeneutics that relied on prejudgments and the revision of the conditions of understanding in order to get to the rightly mixture of horizon. What has distinguished this trend is its ontological necessity, infinite understanding and prejudgments. The article discusses the historical development of Hermeneutic theory and its important schools and trends, defining the concept of interpretive circle within the philosophical hermeneutic trend.

**Keywords:** Hermeneutics, Hermeneutics trends, interpretive circle, philosophical Hermeneutics, prejudgments.

-----  
Al-Daleel, 2023, Vol. 6, No. 21, PP .112-131

Received: 15/07/2023; Accepted: 11/08/2023

Publisher: Al-Daleel Institution for Studies and Research

©the author(s)



## الدائرة التأويلية وعملية الفهم (الهرمنيوطيقا الفلسفية نموذجًا)

نسرین شاکر حکیم

طالبة دكتوراه في التفسير المقارن، مؤسسة بنت الهدى للعلوم الاسلامية، إيران.

البريد الإلكتروني: zahra599.569@gmail.com

### الخلاصة

تبوّأت النظرية الهرمنيوطيقية ومنذ دخولها ساحة الفهم الديني ابتداءً، وسائر ساحات الفهم الإنساني عمومًا، موقعًا مميّزًا جعلها محطّ أنظار الباحثين والمفكرين، ابتدأت النظرية الهرمنيوطيقية مع الكتاب المقدّس في تبويب فهمه وصيانتته عن سوء الفهم، ثمّ إلى كونها أداةً فعّالةً في التعامل مع العلوم الإنسانية ودخولها أخيرًا الميدان الفلسفي الوجودي، وصارت معه تعبيرًا وجوديًا حاكياً عن الوجود الإنساني ودليلاً عليه، فهي ضرورة وجودية. ومن المفاهيم المهمّة في النطاق الهرمنيوطيقي مفهوم الدائرة التأويلية الذي يرى أنّ معنى الجمل يتحدّد من خلال المعنى الإجمالي للنصّ والمعنى الإجمالي يكون من خلال مجموع تلك الجمل. فالفهم إذن لا يتمّ متابعتة "عمودياً" من خلال وضع المعتقدات على قمّة الأسس، بل بالأحرى "دائرياً"، في حركة تفسيرية ذهاباً وإياباً بين المعاني المحتملة لافتراضاتنا التي تسمح بدورها للمسألة بالظهور. فالسعي وراء الفهم لا يبني وفقاً لمبدأ "أعلى وأعلى"؛ بل يذهب "أعمق وأعمق"، ويصبح "أكمل وأكمل"، وقد كان لهذه الدائرة معنى مميّز في الاتجاه الفلسفي للهرمنيوطيقا؛ إذ كان يعتمد على الأحكام المسبقة وتنقيح شروط الفهم للحصول على امتزاج الأفق بصورة صحيحة، وما تميّز به هذا الاتجاه هو ضرورته الوجودية ولا نهائية الفهم لديه والشروط والأحكام المسبقة. عمد المقال إلى بحث التطوّر التاريخي للنظرية الهرمنيوطيقية، ثمّ بيان مدارسها المهمّة واتّجاهاتها والتعرّف على مفهوم الدائرة التأويلية وتبيانها في الاتجاه الهرمنيوطيقي الفلسفي. الكلمات المفتاحية: الهرمنيوطيقا، اتّجاهات الهرمنيوطيقا، الدائرة التأويلية، الهرمنيوطيقا الفلسفية، الأحكام المسبقة.

مجلة الدليل، 2023، السنة السادسة، العدد 21، ص. 112 - 131

استلام: 2023/07/15، القبول: 2023/08/11

الناشر: مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث

© المؤلف



## المقدمة

احتلت النظرية التأويلية (الهرمنيوطيقية - Hermeneutics) منذ اكتشافها موقعاً مهمّاً بوصفها علمًا للتفسير وتأويل النصوص، فقد كانت أداة لدراسة النصّ الديني وتفسيره، فالهرمنيوطيقا عرّفت بأنّها علم للتعبير والتفسير والتأويل لأجل الحصول على المعنى. ويرجع أصل كلمة الهرمنيوطيقا إلى الفعل اليوناني (hermeneueien) الذي يعني "يفسّر" إلى الإله "هرمس" رسول آلهة الألب والشيق الخطو الذي كان بحكم وظيفته ويتقن لغة الآلهة ويفهم ما يجول بخاطر هذه الكائنات الخالدة، ثمّ يترجم مقاصدهم وينقلها إلى أهل الفناء من بني البشر. [مصطفى، فهم الفهم، ص 24]

واختلفت التعاريف التي عرّف بها هذا العلم نتيجة المباني المعرفية لدى المتخصّصين به، فقد عرفه شلايرماخر (Friedrich Schleiermacher) بأنّه فنّ فهم حديث الآخرين بصورة واضحة، في حين اعتبره دلتاي (Wilhelm Dilthey) علمًا يتعهّد بتقديم المباني المعرفية للعلوم الإنسانية، ورآه هايدغر (Martin Heidegger) بأنّه الظاهر الوجودي وظاهرية الفهم الوجودي. [انظر: ساجدي، هرمنوتيك و منطق فهم حديث، ص 37]

في حين يعرف بول ريكور (Paul Ricœur) الهرمنيوطيقا بأنّها فنّ الشرح وتوضيح الرموز، وخصوصاً الرموز ذات المعنى الواضح الصريح، ويعرّفها في كتابه "الرسالة الهرمنيوطيقية" بأنّها نظرية عملية في الفهم فيما يرتبط بتفسير المتون [كوزنز هوى، حلقة انتقادي، ص 12]. وإذا أردنا أن نورّخ للهرمنيوطيقا بوصفها علمًا أو فنًا له قواعده ومبادئه الخاصّة به، فإنّنا نجد بداًت مع شلايرماخر، وإسهامه في الهرمنيوطيقا يمثل نقطة تحوّل في تاريخها؛ إذ لم يعد يُنظر إلى الهرمنيوطيقا على أنّها مادة تخصّصية تتبع اللاهوت أو الأدب أو القانون، بل أصبحت هي فنّ الفهم؛ فهم أيّ قول لغويّ على الإطلاق. فقد «كانت جهود شلايرماخر التأويلية ترمي إلى تحويل الفهم إلى علم منظم، وذلك بتنظيم الملاحظات المتفرّقة في وحدة متماسكة منهجيّاً، فالفهم في رأيه يجري وفقاً لقوانين يمكن اكتشافها والتصريح بها، ولم يقتصر طموح شلايرماخر على وضع مجموعة من القواعد كما كان الحال في مبحث التأويل القديم، بل يرمي إلى كشف القوانين التي يعمل بها الفهم، وتحويل مبحث الفهم برّمته إلى علم منهجي يمكن أن يرشدنا في عملية استخلاص المعنى من نصّ ما» [مصطفى، فهم الفهم، ص 107].

ومن بعد شلايرماخر جاء فيلهلم دلتاي الذي يرى في الهرمنيوطيقا أساساً لكلّ "العلوم

الروحية" (Geisteswissenschaften) أي الدراسات الإنسانية والعلوم الاجتماعية، أي كلّ تلك الأفرع البحثية التي تضطلع بتفسير تعبيرات الحياة الداخلية للإنسان، سواءً كانت هذه التعبيرات إيماءاتٍ أو أفعالاً تاريخيةً أو قانونًا مدوّنًا أو أعمالاً فنيّةً أو أدبيّةً. وبذلك قام بتوسيع نطاق الهرمنيوطيقا، بأن وضعها في سياق التأويل في الدراسات الإنسانية، والكلمة المفتاحية في الدراسات الإنسانية، كما يراها دلتاي، هي كلمة "الفهم"، فإذا كان "التفسير" هو غاية العلوم، فإنّ المدخل الصحيح إلى الظواهر التي تضمّ الداخل والخارج هو "الفهم"، وإذا كانت مهمّة العلوم أن "تفسّر" الطبيعة، فإنّ مهمّة الدراسات الإنسانية هي أن "تفهم" تعبيرات الحياة» [المصدر السابق، ص 124]. وقد نَحَتَّ الهرمنيوطيقا منحىً مهمًّا بعد ظهور الاتجاه الفلسفي على يد الفيلسوف الألماني هايدغر الذي نقل هذا العلم من الحيز المعرفي السائد الى الحيز الوجودي. «الفهم عند هايدغر هو قدرة المرء على إدراك إمكانات وجوده ضمن سياق العامل الحياتي الذي فيه، الفهم ليس موهبةً خاصّةً أو قدرةً معيّنةً على الشعور بموقف شخصٍ آخر، ولا هو القدرة على إدراك معنى الحياة على مستوى أعمق، ولا هو أحد التعبيرات عن الحياة على مستوى أعمق، الفهم ليس شيئًا نمتلكه، بل هو شيء نكوّنه، الفهم شكل من أشكال الوجود في العالم أو عنصر مكوّن من عناصر الوجود في العالم» [المصدر السابق، ص 222]. ويقول هايدغر: «إنّ الفهم ليس شيئًا نمتلكه بل هو شيء نكوّنه» [المصدر السابق، ص 121]، وبذلك تكون عملية الفهم والتأويل أمرًا وجوديًا وشكلًا من أشكال الوجود في العالم، فهو أصيل ولا ينفكّ عن الوجود الإنساني.

ثمّ نلاحظ تطوّر الهرمنيوطيقا ليعود إلى أحضان النصّ مع العالم الفرنسي بول ريكور، إذ يعتقد بول ريكور بأنّ الهرمنيوطيقا عملية لفكّ الرموز، بحيث تنطلق من المعنى الظاهر للوصول إلى المعنى الباطن والمكنون. ولا يحرص موضوع التأويل بالنصوص الاصطلاحية، بل يرى أنّ نظامه التأويلي يشمل الرموز الموجودة في الرؤيا وفي الأساطير ورموز المجتمع واللغة. [إلهي راد، مفهوم الهرمنيوطيقا، ص 19]. فالهرمنيوطيقا تنتقل مع ريكور إلى حيز رموز اللغة، فتكون في واقعها تأويلًا لرموزها، يقول ريكور: «إنّه ينطلق من النصّ ليصل عن طريق الدلالة القائمة إلى علم دلالة بنيوي؛ وذلك لكي يفسّر بطريقة منهجية المعاني المتعدّدة للرمزية» [ريكور، من الوجودية إلى فلسفة اللغة، ص 270].

قد يعود الاختلاف في تحديد مفهوم الهرمنيوطيقا إلى كونها عمليةً تتضمّن مجموعةً من

المفاهيم، وهذه المفاهيم تشير إلى أنواع مختلفة من العمليات التأويلية الممارسة على النصوص كالفهم والتفسير والشرح والتأويل والترجمة والتطبيق وغيرها، وهذه العمليات قد تكون متداخلة أو منفصلة عن بعضها. [انظر: شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، ص 18 و19]

تهتمّ الهرمنيوطيقا كما رأينا بموضوعات رئيسية مثل ماهية النصّ وحقيقته، والمعنى وحقيقة فهم النصّ، وكيفية تأثير القبلية والاعتقادات والآفاق الذهنية للمخاطب في تلقّيه للنصّ، وتعيّن الفهم وتفسير النصّ وطريقة فهم النصّ [ساجدي، هرمنوتيك و منطق فهم حديث، ص 36]، فالمهمّة الأساسية لها هي فهم النصوص وتحليلها والكشف عن أسرارها وارتباطها بالكون، وبذلك صارت منهجاً في العلوم الإنسانية تبحث الفهم على أنه عملية أنطولوجية في الإنسان، وبذلك تشمل جميع الممارسات الفردية والاجتماعية وأهداف الإنسان وتصوّراته فتكون أداة للفهم الصحيح بشكل عامّ.

## المبحث الأول: اتجاهات الهرمنيوطيقا

بحسب التتبع التاريخي للسير الهرمنيوطيقي نجدها كانت ضمن اتجاهات ومدارس متميزة، ويمكن تقسيمها إلى أربع مراحل [إلهي راد، الهرمنيوطيقا، ص 38] هي:

### أولاً: الهرمنيوطيقا الكلاسيكية

وهي المرحلة التي سبقت أعمال شلايرماخر، حيث يُعدّ كتاب دان هاور "الهيرمنيوطيقا المقدّسة أو منهج تأويل النصوص المقدّسة" الظهور الأوّل للهرمنيوطيقا في القرن السابع عشر. والشخصية الثانية التي أثرت التراث الهرمنيوطيقي هو الفيلسوف واللاهوتي في القرن الثامن عشر يوهان كلادينوس (Johann Chladenius). فقد كتب كتاباً لأجل بيان أسس نظرية كاملة مرتبطة بالتأويل والتفسير انتشر سنة 1742 م، وسماه: "مدخل إلى التأويل الصحيح للكلام العقلي والكتب العقلية" [انظر: المصدر السابق]. ومن المهمّ القول إنّ الهرمنيوطيقا في هذه المرحلة تفتقد الطابع النظري والعلمي الذي يؤهلها لتكون علماً وفناً خاصاً في فهم النصوص الدينية وتفسيرها. فقد كانت «مقتصرة على تفسير النصوص، وكانت توظف فقه اللغة، حيث كانت مهمتها تكمن في توضيح الغموض ورفع اللبس اللذين يسببهما قدم كلّ مخطوط» [شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، ص 24].

### ثانياً: الهرمنيوطيقا الحديثة

دخلت الهرمنيوطيقا على يد شلايرماخر<sup>(1)</sup> ودلتاي مرحلةً جديدةً من التنظيم والطرح العلمي الذي يجعلها علماً ذا مبانٍ وأسس علمية، «فقد تجاوز تفسير النصوص الفعلية والبحث عن معناها، ليسلّط الضوء على عملية الفهم في حدّ ذاتها وعلى الشروط الضرورية لمقاربة النصوص وتفسيرها» [المصدر السابق، ص 25].

فقد واجه أهمّ مشكلة تقف في طريق الفهم الصحيح وهي "سوء الفهم"؛ إذ يعتقد بأنّ «سوء الفهم هو الأصل» [واعظي، درامدى بر هرمنوتيك، ص 83]، ويكمن دور الهرمنيوطيقا في إزالة سوء الفهم هذا والحيلولة دون وقوعه، فتكون الهرمنيوطيقا عند شلايرماخر هي المنهج الذي يحول دون الوقوع في مزالق سوء الفهم. وقد عمل من أجل رفع سوء الفهم الذي يمكن أن يعتري العملية التفسيرية إلى التفريق بين منهجين وآيتين في النصّ: «المنهج

1- يعتبر شلايرماخر الشخصية البارزة والمؤسسة للهرمنيوطيقا الحديثة.

الوضعي اللغوي، والمنهج النفسي؛ لأنّ القارئ أو المؤول لا يغوص على مراد النصّ إلا بملّكة لغوية ثريّة، وقدرة على استبطان النفوس البشرية، وهذا التكامل المنهجي المشروط يتناغم ومنظور شلايرماخر إلى اللغة التي تعدّ متنقّساً للفكر والوجدان والخطاطر جميعاً، إنّها بعبارة أدقّ وأحكم: تشكيل لغوي ووجداني مستقلّ عن فكر المؤلّف، وهذا الاستقلال ييسّر عملية الفهم برفد من عامل آخر، وهو تواطؤ المخاطب والمخاطب على تشكيل هويّة اللغة» [أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص 21]. فالفهم الحقيقي كما يراه شلايرماخر يكون في وضع المؤول مكان المؤلّف، ليعيش ذهنياً تجاربه وأفكاره التي كانت سبباً في إنتاج النصّ، فيتمّ التركيز على لحظة انبثاق المعنى وقصد المؤلّف، فعملية التأويل على الصعيدين اللغوي والنفسي تعمل على إنتاج المعنى كما أراده المؤلّف، وهذا يتمّ من خلال عملية الإدماج بين فكري المؤول والمؤلّف. [انظر: بريهي، سيرورة التأويل، ص 37 و38]

وقد اتسع مفهوم الهرمنيوطيقا عند دلتاي ليشمل كلّ العلوم الإنسانية والاجتماعية؛ فقد خرجت الهرمنيوطيقا من حيزها كعلمٍ للفهم لتكون مبنئاً لكلّ فروع العلوم الإنسانيّة، بحيث يكون مؤولاً لكلّ الأمور المرتبطة بالإنسان، أعمّ من أن تكون سلوكاً شخصياً أو أفعالاً تاريخيةً أو قوانين اجتماعيةً أساسيةً، أو آثاراً فنيّةً أو تراثاً لغويّاً. [انظر: بالمر، علم هرمنوتيك، ص 109]

يرى دلتاي في الهرمنيوطيقا أساساً لكلّ "العلوم الروحية"؛ أي الدراسات الإنسانية والعلوم الاجتماعية، أي كلّ تلك الأفرع البحثية التي تضطلع بتفسير تعبيرات الحياة الداخلية للإنسان، سواءً كانت هذه التعبيرات إيماءاتٍ أو أفعالاً تاريخيةً أو قانوناً مدوناً أو أعمالاً فنيّةً أو أدبيّةً. [مصطفى، فهم الفهم، ص 116]

فالتأويل عند دلتاي يكون عبارة عن إدراك ورؤية مميّزة لحياة الإنسان وتجاربه، وهذه الإدراك هو الذي يتولّى تطوير الفهم الإنساني لذاته، فيكون التأويل إعادة تأسيس موضوعي واكتشاف للذات الإنسانية، وهو حاصل عن طريق آلية التعبير، سواءً كانت تعبيراً لنصّ مكتوب أو سلوك اجتماعي، يعني ذلك أننا لأجل فهم الحياة النفسية في تعبيراتها الآنية نحتاج لإعادة إنتاجها وبناءها. [انظر: بريهي، سيرورة التأويل، ص 41]

## ثالثاً: الهرمنيوطيقا الفلسفية

مع مجيء الهرمنيوطيقا الفلسفية اتخذت الهرمنيوطيقا مسلكاً جديداً ابتعدت فيه عن الجانب المعرفي الإستمولوجي لتشهد الفهم بكونه وجوداً، بل من أعظم الوجودات التي يعرفها الإنسان، «صار يُدعى أنّ الهدف الأساس للهرمنيوطيقا هو التحليل الوجودي للفهم نفسه» [الهي راد، مفهوم الهرمنيوطيقا، ص 40]. وتميّزت المدرسة الفلسفية بأنها لم تنظر للهرمنيوطيقا على أنها أسلوب أو فنّ في الفهم، بل هي طريقة في تحليل نفس الفهم بوصفه تجلياً للوجود. وأهم شخصيتين في هذه المدرسة هما هايدغر الذي يعدّ المؤسس لأفكارها والمشيّد لبنيتها المعرفية الأصيلة، ومن بعده تلميذه غادامير الذي عمل على تأصيل مبانيها المعرفية الوجودية. ف«الفهم عند هايدغر هو قدرة المرء على إدراك إمكانات وجوده ضمن سياق العالم الحيّاتي الذي وُجد فيه. الفهم ليس موهبةً خاصّة أو قدرةً معيّنةً على الشعور بموقف شخصٍ آخر، ولا هو القدرة على إدراك معنى أحد تعبيرات الحياة على مستوى أعمق. ف«الفهم ليس شيئاً يمتلكه بل هو شيء نكوّنه».. الفهم شكلٌ من أشكال «الوجود في العالم»، أو عنصرٌ مكوّنٌ من عناصر «الوجود في العالم»، الفهم هو الأساس لكلّ تفسير، وهو متّصلٌ ومصاحبٌ لوجود المرء وقائمٌ في كلّ فعلٍ من أفعال التأويل. [مصطفى، فهم الفهم، ص 222]

فنحن ندرك العالم من خلال إدراكنا لوجودنا، وهذا يتمّ من خلال مجموعة من الإحالات، فنحن ندرك الأشياء على الأساس الذي ننحها إياه، فادراكنا للأشياء في العالم يؤسّس على أساس من "الرؤية المسبقة" و"الحكم المسبق". [انظر: بريمي، سيرورة التأويل، ص 46] أمّا غادامير فلم يكن مهتماً بتبيين طريقة الفهم أو عرض قواعد تفسير المتون، لكنّه يدرس إمكانية تحقّق الفهم والعناصر المؤثّرة في ذلك، فكما كان كانط مهتماً بالحصول على شرائط تحقّق المعرفة، فإنّ غادامير كان يبحث عن سؤال أصلي هو: كيف يتحقّق الفهم وما شرائط تحقّقه؟ ويرى أنّ هذه الشرائط تكون متواجدةً في كلّ تفسير، وأنّ مهمّة الفيلسوف تكمن في الحصول على الطبيعة المشتركة للفهم. [انظر: نصرى، عناصر فهم در اندیشه غادامير، ص 58]

وقد تحوّلت الهرمنيوطيقا مع غادامير إلى الجانب الفنّي، «فالفنّ باعتباره الفعل التخيلي الأكثر قدرةً على فتح الذات بشكل منتشر على آفاق النصّ» [ناصر، اللغة والتأويل، ص 73].

فتكون الهرمنيوطيقا الفلسفية هي طريقة بحث الهرمنيوطيقا من خلال أبعادها الوجودية (الفلسفية) عن إمكان ووجود الفهم والشرائط الدخيلة في تحقّقه، فيكون «الفهم وتفسير

النصوص هو جزء وبعده من أبعاد الإنسان الأساسية» [بالمر، علم هرمنوتيك، ص 42]. وتتميز الهرمنيوطيقا الفلسفية والتي كانت وليدة القرن العشرين بأنها دخلت حيز التقصي الفلسفي الوجودي، معتبرة أنّ الفهم ليس مجرد بنية معرفية، بل واحدة من بنى الوجود الأساسية. ويرى هايدغر أنّ الفهم راسخ في تربة الوجود الإنساني قبل أي عملية تفسيرية، فكل الأشياء تتسم بـ"المفسرية"، أي أنها لا تتبدى لنا مجردة عارية، بل مفسرة بوصفها أشياء تقوم بهذه الوظيفة أو تلك، فنحن نفهم الجسر بوصفه شيء يؤدي وظيفة الربط بين ضفتين، وهذا المعنى الوجودي ينبع من ذات الأشياء قبل أن نقوم بتعبيرها أو فهمها. [انظر: قطان، الهرمنيوطيقا الحديثة وفهم النص، ص 50 و51]

وأما تلميذه غادامير الذي أدام طريق أستاذه مع مزيد من التوسع والمنهجية، فإنّ «غادامير هو من قدر له أن يشتبك بالمشكلة الفلسفية الخاصة بتأسيس أنطولوجيا جديدة لحدث الفهم» [مصطفى، فهم الفهم، ص 276]. فقد كانت محاولة غادامير في الفهم تتأثر بمحاولة أستاذه هايدغر، إذ تنظر إليها من زاوية الكينونة. فالفهم له انخراط تامّ بخبرة الكينونة في العالم. وطبقًا لكتابه المهمّ "الحقيقة والمنهج"، ليس من صلة بين قضية الفهم والمنهج، والفهم هنا - يضرع الحقيقة، والفهم هو الذي يحدّد طبيعة التأويل، وهو أي "الفهم" محايت للذات الإنسانية وتصوراتها للعالم، فهو فهم "اعتقادي" بمعنى ما. [انظر: ناظم، تأويلية الفهم، ص 153 و154]

### المبحث الثاني: الدائرة التأويلية

يعتبر مفهوم الدائرة التأويلية (hermeneutical circle) من المفاهيم المهمّة في الأبحاث الهرمنيوطيقية، بل تُعدّ أكثرها أصالةً وتخصّصًا.

تقوم الدائرة التأويلية على فكرة أنّنا نفهم الأجزاء عن طريق فهمنا للكلّ وفهمنا للكلّ يتمّ من خلال فهمنا للأجزاء. وكما كان يقول باسكال: «فإنّ تحقّق المعرفة الكاملة بالنصّ أمر غير ممكن من دون الأجزاء، والتعرف على الأجزاء غير ممكن بدون كامل النصّ» [شميسا، النقد الأدبي، ص 317] حسب الدائرة التأويلية فإنّ معنى الجمل يتحدد من خلال المعنى الإجمالي للنصّ، والمعنى الإجمالي يكون من خلال مجموع تلك الجمل. فالفهم إذن لا يتم متابعته "عموديًا" من خلال وضع المعتقدات على قمة الأسس، بل بالأحرى "دائريًا"، في حركة تفسيرية ذهابًا وإيابًا بين المعاني المحتملة لافتراضاتنا التي تسمح بدورها للمسألة بالظهور. فالسعي وراء الفهم لا يبني وفقًا لمبدأ "أعلى وأعلى"؛ بل يذهب "أعمق وأعمق"، ويصبح "أكمل وأكمل"، أو ربما "أكثر ثراءً وثرًا". [Stanford Encyclopedia of Philosophy, p 6]

إذا أردنا أن نُؤرِّخ بدقّة للمسألة فسنجد في كتابات الفيلسوف الألماني أوجست بوخ (August Boeckh) إشارة واضحةً للدائرة التأويلية الذي يراها متحقّقة بين الجزئين النحوي والتاريخي لعملية فهم أيّ نصّ من النصوص، والتي لا يمكن اجتنابها في حال من الأحوال، وكان ذلك في معرض كلامه عن الطرق المختلفة للتفسير والفهم.

[Grondin, What is the hermeneutical circle, p 5]

«إنّ هذه الدائرة تمنح المؤلّ أساساً للإصغاء إلى النصّ؛ لأنّ فعل الإصغاء ذاته لا يمتلك أيّ إمكانية استدلالية إلاّ من خلال الجدل مع الكتابة، والكتابة بدورها لا تحقّق رغبة المشاغبة لإرادة الحقيقة من النصّ، وهذا الدوران يسترجع المعاني التي تؤظّرها اللحظة التزامنية لفعل الفهم التاريخي دون أن تفقد مرجعيّتها داخل جسد اللغة وتمثّل العالم» [ناصر، اللغة والتأويل، ص 47].

فالفهم يتمّ عبر عملية إحالية، ففهم الشيء تكون من خلال مقارنته بآخر معلوم لدينا، وما نفهمه بعداً سيدخل ضمن وحدات منسجمة، فالأجزاء المفردة تكوّن الدائرة الكليّة، ونحن نفهم الجمل المفردة بإحالتها إلى الجملة الكليّة والجملة بدورها يعتمّ معناها الكليّ على معنى كلماتها المفردة، وكذلك الحال في المفاهيم الذهنية، فكلّ مفهوم مفرد يستمدّ معناه من السياق أو الأفق الذي يوجد فيه، والأفق يتكوّن من العناصر نفسها التي تكون منها معناها، وقد يتصوّر من ذلك وجود مفارقة أو تناقض منطقي (Paradox)، فلا يتحقّق الفهم أصلاً ويكون الفهم محالاً، فنقول إنّ هذا الأمر يكون محالاً إذا كان يحصل بصورة خطية مستقيمة، أمّا في حقيقة الأمر فتوجد "قفزة" إلى داخل الدائرة التأويلية، ونحن في الحقيقة نفهم الكلّ والأجزاء سوياً، ولكي تعمل دائرة التأويل فهي تفترض بالضرورة عنصراً حدسياً. [انظر: مصطفى، فهم الفهم، ص 57]

إنّ الدائرة التأويلية تعني «أنّ عملية فهم النصّ ليست غايةً سهلةً، بل عملية معقّدة مركّبة، يبدأ المفسّر فيها من أيّ نقطة شاء، لكن عليه أن يكون قابلاً لأن يعدّل فهمه طبقاً لما يسفر عنه دورانه في جزئيات النصّ وتفصيله وجوانبه المتعدّدة» [أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص 22].

وقد تحقّق الاستخدام الواسع لمفهوم الدائرة التأويلية مع شلايرماخر (دون استخدام المصطلح كما فعل الهرمنيوطيقيون من قبل)، فقد كان يرى مهمّة الفهم دائرةً بين الكلّ والأجزاء، فلكي نفهم أجزاء النصّ علينا معرفة معناه إجمالاً، وبعد أن تعرّفنا على الأجزاء

يتكوّن لدينا معرفة إجمالية للنصّ تختلف عن سابقها، فهو يعتقد بانحصار تحقّق الفهم من خلالها. «ومعنى ذلك أنّ عملية تفسير النصّ - على المستوى اللغوي الموضوعي - تدور في دائرة، ولا بدّ أن نستند إلى معرفة كاملة باللغة من جانب وبخصائص النصّ من جانب آخر» [المصدر السابق، ص 22].

أمّا دلّتي الفهم عنده كما عرفنا يرتبط بالادراك النفسي للحياة، ويرى أنّ هذا الإدراك يتحقّق بواسطة التجربة، والتأويل عنده مبنيٌّ على عنصر التجربة أو الخبرة، «الخبرة بالنسبة لدلّتي هي الافتراض المسبق الأساسي لمعرفة العالم التاريخي» [غدامير، الحقيقة والمنهج، ص 316]، فالفهم عند دلّتي يكون من خلال الدائرة التي تكون من خلال الأجزاء، والأجزاء من خلال ذلك الكلّ، وهي متّصلة في طبيعة الخبرة المعاشة، فالمعنى يكون من خلال مشاركتنا في الخبرة المعاشة، وهو ما نتمكّن من خلاله من فهم الحياة، فمفهوم الحياة عنده عبارة عن خبرة معاشة. [انظر: مصطفى، فهم الفهم، ص 85 و 86]

فالخبرة المعاشة تمثّل السياق الذي يتم من خلاله الفهم فنحن نفهم دائماً داخل أفقنا الخاصّ عن طريق الإحالة لخبرتنا، ونحن في عملية الفهم ندور بين الأفق الخاصّ الحاصل من خبرتنا المعاشة وأفق النصّ، «فعملية الفهم تتمّ عبر التفاعل الحيوي بين أفق النصّ بما هو نتاج تجربة حياتية يعرضها المؤلّف وبين أفق القارئ الذي تمثله تجربته الخاصة المتراكمة عبر حياته التي يستخدمها لفهم النصّ، وبانصهار هذين الأفق تنتج عملية الفهم، وعليه فالفهم حسب دلّتي هو انصهار خبرتيّ / أفقيّ النصّ والقارئ، وانصهار التجريبتين من شأنه أن يعمل على تجديد معنى النصّ وتطويره وتعدّده [بوعود، جان غروندان قارئاً للدائرة التأويلية بحث في الجذور والتطوّرات، ص 10]، فتكون الدائرة التأويلية حسب دلّتي الدوران بين الجزء والكلّ، وهذا الكلّ يتّسع ليشمل تجربة الحياة نفسها، فتجربة ما جزئية في حياتنا تأخذ معناها من خلال تجاربنا الكلية، وليست تلك الكلية سوى نتاج لتجاربنا الحياتية الجزئية، فالجزء يؤثر في الكلّ ويغيّر معناه كما يؤثر الكلّ فيه ويغيّر معناه. [انظر: أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص 29]

حاول هايدغر مثل دلّتي أن يفهم الحياة من خلال نفس الحياة، لكنّه هذه المرّة سيستفيد من الأسس الظاهرية لأستاذه هوسرل (Edmund Husserl) وفهم الوجود (Being) بالوجود نفسه، فهو يعتقد بأنّ وعي الانسان لوجوده يمثّل المفتاح الأساسي لفهم الوجود، وهذه الفهم تاريخي وأنّي في الوقت نفسه، فهو ليس فهمًا ثابتًا ويتشكّل من خلال تجارب

الإنسان الحيّة، فالفهم لا يقوم على أساس المقولات والوعي الإنساني، فهو يصدر من تجلّي ذات الشيء المواجه لنا. [انظر: المصدر السابق، ص 30 - 32]

وأما الدائرة التأويلية كما يراها هايدغر فهي اعتماد الفهم الحالي على سابقه، فالفهم لا يتحقّق دون فهم سابق، «فنحن في فهم النصّ لا نبدأ من فراغ بل نبدأ - كما في فهم الوجود - من معرفة أولية عن النصّ ونوعه، وحتى الذين ينكرون ذلك فإنّهم يبدوون في التعامل مع النصّ من خلال إدراك نوعه مثلاً». [انظر: المصدر السابق، ص 33]، ف«يعتقد هايدجر بأنّ الدائرة التأويلية تمثّل مستوىً أساسياً في الفهم الإنساني؛ إذ يعتقد بدورانها بين الوجود الإنساني (دازاين)<sup>(2)</sup> والعالم، فالفهم كما يراه هايدجر يعمل داخل دائرة تأويلية، فالفرد يفهم النصّ من خلال ما كان عنده من قناعات وأحكام مسبقة (preudice) في المرحلة الأولى، ثمّ يقارن بين قناعاته والموضوع نفسه، وبعد ذلك يقوم بالمرحلة الثالثة بإدخال قناعاته المعرفية التي حصل عليها من خلال إيرادها داخل النصّ، وهكذا تستمرّ هذه العملية حتى تتمّ العملية الكاملة للفهم» [انظر: بهرامى، دور هرمنوتيكى در نگاه هرمنوتيستها و تفسيرگران قرآن، ص 351]. تتشكّل الدائرة بوصفها طريقةً للفهم والتفسير، فالفهم المسبق المنظم على أساس الخبرات، بالإضافة إلى الدراسات حوله، تؤدّي إلى فهم، ومن هذا نطلق إلى التفسير، والتفاعل مع النصّ لأجل تفسير النصّ وتوليد فهم جديد له، وهكذا تستمرّ عملية التفاعل هذه للحصول على تفسير واضح وكامل للنصّ. حيث تكون «عملية فهم النصوص عملية هرمنيوطيقية تدور في دائرة هي الدائرة التأويلية، تتسع مع تصوّر الهرمنيوطيقي للوجود عند هايدجر» [أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص 36]. يعتقد هايدغر بأنّ المهمّ هو الدخول في مجموعة العناصر غير القابلة للتجزئة، ومن تلك العناصر نطلق لدخول النصّ وتفسيره والظفر بفهمه، «فالهم لدينا ليس الخروج من الدائرة التأويلية، بل كيف ندخلها بصورة صحيحة» [بهرامى، دور هرمنوتيكى در نگاه هرمنوتيستها و تفسيرگران قرآن، ص 352].

فالدائرة التأويلية تتحقّق من خلال الاندماج الوجودي الذي يحصل بين الأحكام المسبقة لدى القارئ والنصّ، ونجاح هذه العملية يكون من خلال الدخول الصحيح والاختيار الموفق للقناعات التي تنسجم والنصّ لإحراز تعامل ناجح بينها، والمقارنة بينها والحصول على تفسير جديد للنصّ، وهكذا تستمرّ الطريقة في دوران.

2- الدازاين (dasein) كلمة ألمانية، تعني الوجود الحاضر أو الوجود المقابل للأ وجود. ويستخدم هايدغر هذه الكلمة للدلالة على كينونة الوجود الإنساني أو كيفية وجوده؛ أي الإنسان من حيث هو الكائن المنفتح على الكون في تغييره وعدم استقراره، وهذا يعني أنّ الدازاين يختلف عن سائر الكائنات من حيث إنّه ينجز كونه، فماهية الإنسان إذن، وجوده وحقيقته نزوعه إلى ما يريد أن يكون، فهو من يصنع ذاته بذاته ويجاوز بفعله حدود الواقع وينفتح على العالم. [صليبا، المعجم الفلسفي، ج 1، ص 556]

يعتقد هايدغر بعبثية الوصول الى فهم خالٍ من تكهّنٍ مسبق، فهو أمر محال، فالفهم عند الكائن الإنساني محكوم بالتصوّرات المسبقة؛ لذلك لا يمكننا أن نجد فهمًا خاليًا منها. [انظر: غروندان، التأويلية، ص 57]

وقد انطلق غادامير من هايدغر في هذه المسألة فهو يرى الحضور الدائم للتصوّرات المسبقة في عملية الفهم، وباعتقاده يقوم الفهم المسبق في أساسه على التقاليد التي ينشأ ويعيش في سياقها الفرد المؤوّل، وهذا ما يدعو إلى ضرورة الاهتمام بالتراث بما في ذلك نطاقه الفلسفي؛ وذلك لأنّه يمثّل الشروط القبليّة المحدّدة لعملية الفهم من جهة، ويعبّر عن طبيعة الوجود الإنساني من جهة أخرى، وهذا يبرز أهميّة البعد التاريخي للإنسان، وعلى ذلك فالالتّجاه الهرمنيوطيقي الفلسفي يهدف الى إزالة التناقض بين التراث والتاريخ [غادامير، الحقيقة والمنهج، ص 382]، وهذا ما يبيّن لنا بالضبط أهميّة التراث في مجال العلوم الإنسانية.

فقد اهتمّ غادامير بالبحث عن تلك التصوّرات والأحكام المسبقة، ويعتقد بضرورتها للعملية المعرفية، فهي ذات معنّى إيجابي؛ لكونها ذات دور أساسي وقانوني في تشكّل بنيتنا المعرفية، فهي ليست سلبيةً بنحو تامّ، فقد تكون «ضرورية لوجودنا، فهي تؤسّس بالمعنى التامّ للكلمة آلتنا المعرفية وفضلها يكون وجودنا أمرًا ممكنًا» [غادامير، فلسفة التأويل، ص 107]. فالأحكام المسبقة عند غادامير تمثّل عنصرًا أساسيًا لا يمكن تجاوزه في أيّ عملية ذهنية؛ إذ تؤكد هذه التصورات على الماضي وتراه عنصر مؤثر في الحاضر والمستقبل، فالماضي مجموعة من الوقائع المرنة التي تمكّنا من التعامل بانسيابية مع النصّ فهمًا وتأويلًا. [انظر: شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، ص 47]

وهكذا تتمّ الدائرة التأويلية باعتقاده، فهو يراها بين التصوّرات المسبقة وفهم النصّ، فالدائرة التأويلية تدور بين الفهم الذي هو الكلّ، والأجزاء التي تمثّلها التصوّرات المسبقة الحقيقية، فالفهم الحقيقية والواقعي ما يكون ناشئًا عن تصوّرات مسبقة حقيقية، وهي تتوافق معه تمامًا وتندمج معه لتوليد فهم جديد، ثمّ يكون هذا الفهم الجديد حكمًا قبليًا لفهم آخر وهكذا، «وهذا ما يتمّ من خلال ما يعرفه غادامير بامتزاج الأفق (Fusion of horizons)»<sup>(3)</sup>.

وبذلك فالدائرة التأويلية عند غادامير تقوم في أساسها على ما لدى الذات الإنسانية

3- يشير هذا الاصطلاح إلى عملية التفاعل النشط بين أفق النصّ وأفق المفسّر؛ إذ يعتقد غادامير بعدم إمكان حصول الفهم خارج هذا الإطار.

من معرفة أو أحكام مسبقة؛ ولهذا فهي تضع حدوداً ذاتيةً أثناء قراءة النصّ، وهذا ما ينعكس على فهم نصّ ما؛ لأنّه فهم قائم على توقّعات الذات أو إسقاطاتها، وبذلك فالذات لا تفهم إلا ما تجده متوافقاً معها أو مع أحكامها المسبقة، وستكون هذه الإسقاطات موضع مراجعةٍ مستمرةٍ ودائمةٍ انطلاقاً من تجدها تبعاً للموقف أو السياق، ممّا يؤدي إلى ظهور عدّة تأويلات ستساعد في وضوح معنى النصّ وتبيين ارتباط الرموز بالعالم. [انظر: مصطفى، فهم الفهم، ص 12]

### المبحث الثالث: الدائرة التأويلية في الهرمنيوطيقا الفلسفية

اتّضح ممّا سبق أنّ مفهوم "الدائرة التأويلية" من المفاهيم الأصيلّة في الدراسة الهرمنيوطيقية عموماً، والفلسفية منها على وجه الخصوص، يعتقد هايدغر بأنّ الهرمنيوطيقا ليست دائرةً مفرغةً، بل إنّها دائرة تمكّنا من معرفة الأصل، وبموجب هذه الإمكانية يمكن للتأويل أن يفرض نفسه كفضاء علمي خالص، وبالتالي يتحرّر من سيطرة الحدوس ومصطلحات المعرفة الشعبية، وهذه السمة العلمية في التأويل لا تكون إلا من خلال عالم الأشياء نفسها. فهذه المعرفة ليست بمعرفة منفصلة عن الوجود الإنساني، بل هي معرفة نابعة عنه متّصلة به تنشأ عنه وتعود إليه ولا تفارقه في حال من الأحوال. [انظر: هايدجر، الكينونة والزمان، ص 183]، من بعد ذلك نرى توسّع الأمر مع غادامير الذي ركّز على مسألة التراث وتأثيرها على الصياغة النفسية للأحكام والتصوّرات المسبقة واعتقاده بأهميتها وضرورتها لأجل تحقّق عملية الفهم، فالتراث يمثّل أفق الفهم الذي نعيش ونوجد فيه، من هذا «يرى غادامير أنّ أساس الهرمنيوطيقا يكون في التوتّر القائم بين الحاضر والماضي» [بوعود، جان غرونديان قارئاً للدائرة التأويلية.. بحث في الجذور والتطوّرات، ص 15].

فقد تميّز النظر الهرمنيوطيقي الفلسفي بمجموعة من الأمور هي:

#### أولاً: الضرورة الوجودية

هدف هايدغر من التأمّل التأويلي ليس إثبات وجود الدائرة بقدر ما هو محاولة لتبيان أنّ هذه الدائرة ذات دلالة أنطولوجية، فالفهم الذي كان عبارة عن تحقّق الوجود الإنساني يتجلّى ويتحقّق من خلال الدائرة التأويلية، فهي ليست اختيارياً يمكننا قبولها أو التخلّي عنها، بل هي نوع تحقّق وجودي ليس لنا إغفال النظر عنه وتجاهله، فهو طريقة للوجود والتعايش في هذه الحياة. [انظر: جمادى، زمينه و زمانه ي پديدارشناسى، ص 468]

فالأمر يتعلّق بضرورة وجودية لا يمكن الانفلات منها، فهو من أهمّ صفات الوجود الإنساني، فالهرمنيوطيقا «نظريةً في التكتشف الأنطولوجي.. هي نظرية أساسية في كيف يبرز الفهم في الوجود الإنساني» [مصطفى، فهم الفهم، ص 325]. كما يعتقد هايدغر بأننا لا نستطيع نعت هذه الدائرة بالدائرة الفارغة، وكأنّها تنطوي على عيب ما، فهي تشتمل على إمكانية إيجابية وأصيلة لمعرفة ما يعدّ أكثر أصالةً، وذلك غير ممكن إلا إذا كان التأويل مهمّتنا الأولى والأخيرة، وأن نعمل على حماية موضوعنا العلمي من خلال تطوير توقّعاته وآرائه المسبقة حسب "ذات الأشياء". [انظر: البريمي، السيرورة التأويلية، ص 110]

إذن عملية الفهم التي تحصل للذات الإنسانية بالنظر للأحكام والشروط المسبقة التي تحدّد سياق الفهم ذات حركة دائرية بين الوجود الإنساني والعالم، فإدراك الذات يكون ذا أثر فاعل ومهمّ في إدراكنا للعالم والموجودات من حولنا.

### ثانياً: الفهم اللانهائي

من الأمور المهمّة التي تميّز بها الدائرة التأويلية هي اللانهائية التي تقول بها، فهي وعلى عكس الدور المنطقي الذي يدور بين المجهول والمعلوم لإدراك الحقائق، فإنّ الدائرة التأويلية تخالف ذلك بالقول إنّ ما نبدأ ليس هو ما ننتهي إليه، فعملية الفهم نشطة وفعّالة ودائمة غير متوقّفة. [انظر: نيكويي، دور هرموتيكى و نقش آن در مطالعات ادبى فهم و نقد متون، ص 49]

إنّ عملية الفهم لدى الهرمنيوطيقا الفلسفية هي عملية نشطة فعّالة ودائمة يتّضح لنا من خلالها «النهائية الفكر الإنساني، وأتّه ليس هناك ذلك الفهم الذي يبلغ حدّ اليقين أو الاكتمال، فالفهم يبقى دائماً مفتوحاً أو تحسين متواصل لمعرفةنا بالعالم» [بعلي، مسارات النقد ومدارات ما بعد الحدّات، ص 88]، فالفهم حسب الهرمنيوطيقا الفلسفية يكون من خلال حركة ذهاب وإياب تتشكّل منها دوائر متّسقة ومنسجمة، وهذا ما يعطينا المعيار الصحيح في التعامل بين الأجزاء والكُلّ، وضمان عدم انحراف الفهم ضمن دورانه اللانهائي هذا.

### ثالثاً: الأحكام المسبقة

ترى الهرمنيوطيقا الفلسفية مسألة الأحكام أو التصرّوات المسبقة أمراً ضرورياً لا يمكن الحيلولة دونه وفهم النصّ، بل إنّ عملية فهم النصّ تتوقّف عليه. والفهم - كما يراه هايدغر - سمة مهمّة أخرى، هي أنه يعمل دائماً داخل مجموعة من العلاقات المؤوّلة من الأصل، داخل "كُلّ علائقي". [مصطفى، فهم الفهم، ص 323]

إنّ الاحكام المسبقة تشكّل عناصر أساسية في عملية الفهم، وهي تعتمد على السياق التاريخي الذي يحكم البشر وتكون متحددة من خلاله، «بمعنى أنّ الارتباط السياقي لمختلف التأويلات التي نسند لها لنصّ ما وبالتالي فهمه، يعود أساساً إلى الارتباط السياقي لافتراضتنا وأحكامنا المسبقة» [بريمي، السيرورة التأويلية، ص 111].

فالفهم كما يراه هايدغر عملية إسقاطية، يتمّ من خلالها إسقاط الوجود على إمكاناته وقدراته، فالإنسان من خلال عملية الفهم يقوم بإسقاط وجوده عليها، وبذلك يحدث عنده تقدّم في إدراك نفسه وذاته، هذا الإسقاط يكون مسبقاً بمجموعة من الشرائط والظروف (العرف، التاريخ، الزمان واللغة) وكذلك يرى غادامير بأنّ عملية الفهم تبدأ بالإسقاط وللعرف والتاريخ دور مهمّ فيها، وفي هذه الأثناء يتكلم غادامير عن عملية مزج الأفق (Fusion of Horizons)، إذ يمتزج أفق عرف التاريخ مع الحاضر وتمدنا بفهم جديد [انظر: نيكوي، دور هرموتيكى و نقش آن در مطالعات ادبى فهم و نقد متون، ص 49 و 50]، وبذلك تكون العملية التأويلية محدودة بالفهم التاريخي، فالكلّ تأويل يبقى دائماً مشروطاً بالوضعية التاريخية التي ينتمي إليها، ويكون في المقابل متعلّقاً بواقع النصّ ذاته» [شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، ص 41].

يعتقد غادامير بأنّ التاريخ ليس وجوداً مستقلاً أو منفصلاً عن وعينا الراهن وأفق تجربتنا الحالية، كما أنّ وجودنا الراهن ليس معزولاً عن تأثير تقاليدنا الموروثة، فوجودنا تاريخي ومعاصر في آن واحد، ونحن لا نستطيع تجاوز أفقنا الحاضر في فهم التاريخ وتقاليدنا الموروثة هي التي تشكّل وعينا الراهن، فنحن موجودات نعيش في إطار التاريخ، وهذه التاريخية لنا كالماء للسّمك يغوص فيه دون إدراكه؛ لذلك فإنّ فهمنا للتاريخ لا ينشأ من فراغ، بل يبدأ من الأفق الحاضر حتّى يمتزج بالتاريخ» [انظر: أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص 42].

### نقد الدائرة الهرمنيوطيقية

واجهت الدائرة الهرمنيوطيقية مجموعة من المخالفين الذين عارضوها وقالوا بعدم إمكان تحقيقها؛ وذلك لأمر أهمّها:

1- مشابهتها للدور المنطقي الذي يلزم معه عدم تحقّق الفهم أساساً.

والحقّ أنّ هذا غير متحقّق هنا؛ لأنّ الدائرة التأويلية ليست بعملية ثابتة بين طرفين تتمّ الحركة فيها بشكل روتيني ثابت بين الكلّ والجزء، لكنّها عملية سيّالة ونشطة، وكلا

الطرفين في حال تغيير وتبدل، بحيث يطرأ على الأطراف عمليات (تنقيح وإصلاح وتكميل ونقد)، فنحن كالجالس في السفينة لأجل إصلاحها، وهو يستفيد من التقنيات المختلفة لذلك.

2- إغفال دور النص في العملية التفسيرية من خلال التأكيد على قصد المؤلف أو المفسر وتأثير أفقه في فهم النص.

والحق أنه رغم اشتراط هذه الأمور في تحقق عملية الفهم، إلا أنها ليست سوى شبكة الصيد التي يلتقى بها لجمع الصيد، دون أن تكون لوحدها ما يكفل ذلك، فتبقى أهمية النص محفوظة في كونه المادة الأساس التي يُعمل على أساسها. [انظر: نيكوي، نقش دور هرمنوتيكى در مطالعات ادبى فهم و

نقد متون، ص 49 - 51]

## الخاتمة

مرّت الهرمنيوطيقا في مسيرتها التعاملية مع النصوص، بدءاً من النصوص الدينية التي مثّلت الأرضية التي انبثقت عنها، وانتهاءً بمطلق النصوص ومطلق الفهم الإنساني بمحطات عديدة، ويمكننا التعبير بنحو أدقّ بالاتجاهات التي رأت فيها أسلوباً للفهم يضيق أحياناً ويتسع أخرى ليشمل أنحاء عديدة في الفهم والوجود الإنساني، فقد كان انطلاقها بشكل علمي مع شلايرماخر الذي رأى فيها الأمل الوحيد في فهم النصّ الديني والحصول على تأويلاته، إلى دلتاي وقد أعلى صرحها لتكون الآلية العلمية الوحيدة التي تمكّنا من التعامل مع العلوم الإنسانية وبلورة التجربة الحياتية للإنسان، حتّى دخلت مع جهود هايدغر حيز الوجود الإنساني الأصيل، لتكون عنواناً له ودليلاً عليه، فلم تعد الهرمنيوطيقا ذلك العلم الذي تشتمله الكتب وتحوزه الأقلام، بل هو أداة بشرية بامتياز يتجلّى من خلالها الوجود الإنساني ويتكامل، وعاد غادامير ليزاوج بين أفكار أستاذه هايدغر وتجربة دلتاي الحياتية ويخلص إلى هرمنيوطيقا ذات شروط فهم جيّدة، فنحن لا نستطيع الفهم دون الأحكام المسبقة، فعلىنا تهيئة شروط فهم جيّدة، كما تعدّ الدائرة التأويلية أحد المفاهيم الرئيسة التي تقوم عليها الهرمنيوطيقا، سواءً في حصولها من خلال الدوران بين الجزء والكلّ كما يرى شلايرماخر لتحصيل الفهم، أو دورانها بين التجربة الفردية الإنسانية وإدراك تجربة الحياة عند دلتاي، أو دورانها بين الوجود الإنساني والوجود الكوني كما يراها هايدغر، أو إسقاط يحدث ما بين إمكانيات الإنسان وإدراكه لذاته، وأمّا الدائرة التأويلية عند غادامير فهي تقوم في أساسها على ما لدى الذات الإنسانية من معرفة أو أحكام مسبقة؛ ولهذا فهي تضع حدوداً ذاتيةً أثناء قراءتها للنصّ، وهذا ما ينعكس على فهم أيّ نصّ لأنّه فهم قائم على توقّعات أو إسقاطات الذات، وبذلك فالذات لا تفهم إلا ما تجده متوافقاً معها أو مع أحكامها المسبقة. فهي وكما يتّضح ممّا سبق آلية معرفية للبنية الإدراكية البشرية، وهي تتميز بمجموعة من الخصائص في الهرمنيوطيقا الفلسفية منها: الضرورة الوجودية، فهي ليست عمليةً اختياريةً للذهن البشري، بل فعّالية حيوية وجودية، بل تعدّ أهمّ الفعاليات الحيوية الإنسانية. ومنها: الفهم اللانهائي؛ إذ تعتمد هذه النظرية على مبنى لانهائية فهم النصّ، بل إنّ دائريتها تقتضي استمرارها وعدم محدوديتها بحدّ دون آخر. ووجود الأحكام المسبقة التي تمثّل شرطاً رئيسياً، بل قواماً لعملية الفهم التي لا يمكن لها التحقق من دونه. وأمّا النقد الوارد على الدائرة التأويلية فهو يتمثّل بمشابهتها بالدور المنطقي الذي يكون معه تحقق الفهم محالاً، وبلانهائية الفهم على فرض تحقّقه، ونفي دور النصّ في عملية فهم المتن.

## قائمة المصادر

القرآن الكريم.

إلهي راد، صدر، مفهوم الهرمنيوطيقا، تعريب حسنين الجمال، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، 2019 م.

بالم، ريتشارد، علم هرمنوتيك، ترجمة: محمد سعيد حنائى كاشانى، هرمس، مركز بينالمللى كفتگوى تمدنها، 1377 ش.

بريمي، عبد الله، السيرورة التأويلية، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 2010 م.

بعلي، حفناوي رشيد، مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة، دار اليازوي العلمية، 2013 م.

بهرامى، عبدالله، دور هرمنوتيكى در نگاه هرمنوتيستها و تفسيرگران قرآن، پژوهشهاى قرآنى، شماره 62 - 63، سال 1389 ش.

بوعود، أحمد، جان غروندان قارئًا للدائرة التأويلية.. بحث في الجذور والتطورات، بحث مقدّم للندوة الدولية "من النصّ إلى الخطاب وواقع التلقّي والتأويل"، جامعة عبد المالك السعدي، المغرب، 2019 م.

جمادى، سياوش، زمينه و زمانه‌ى پديدارشناسى، نشر قفنوس، 1389 ش.

حسن ناظم، تأويلية الفهم، الحياة الطيبة، العدد 26، 2017 م.

ديويد كوزنزهوى، حلقه‌ى انتقادى، ترجمه‌ى مراد فرهادپور، انتشارات روشنگران، 1371 ش.

ريكور، بول، من الوجودية إلى فلسفة اللغة، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1999 م.

ساجدى، ابوالفضل و...، هرمنوتيك و منطق فهم حديث، مركز بين المللى ترجمه و نشر المصطفى، 1396 ش.

شميسا، سيروس، نقد ادبى، فردوس، تهران، 1383 ش.

طلبة، منى، الهرمنيوطيقا.. المصطلح والمفهوم، مجلة أوراق فلسفية، العدد 10، في

موقع: aorakphalsaphia.com

غادامير، جورج هانز، الحقيقة والمنهج، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح، دار أوياء، طرابلس، 2007 م.

غادامير، جورج هانز، فلسفة التأويل، ترجمة محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف، 2006 م.

غروندان، جان، التأويلية، ترجمة جورج كتورة، دار الكتاب الجديد، 2017 م.

قطن، أسعد، التأويل والهرمنيوطيقا (الهرمنيوطيقا الحديثة وفهم النص)، مركز الحضارة، بيروت، 2011 م.

مصطفى، عادل، فهم الفهم، رؤية للنشر والتوزيع، 2007 م.

ناصر، عمارة، اللغة والتأويل، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007 م.

نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2014 م.

نصرى، عبدالله، عناصر فهم در اندیشه‌ی گادامر، نامه‌ی حكمت، شماره‌ی 4، پاییز و زمستان 1383 ش.

نيكوي، عليرضا، دور هرمنوتيكي و نقش آن در مطالعات ادبي فهم و نقد متون، ادب پژوهي، شماره‌ی 3، 1386 ش.

نيكوي، عليرضا، دور هرمنوتيكي و نقش آن در مطالعات ادبي فهم و نقد متون، ادبپژوهي، شماره‌ی 3، پاییز 1386 ش.

هايدجر، الكينونة والزمان، ترجمة فتحي المسكيني، الكتاب الجديد، بيروت، 2012 م.  
واعظي، احمد، درآمدی بر هرمنوتیک، سازمان انتشارات پژوهشگاه فرهنگ و اندیشه‌ی اسلامی، 1393 ش.

Grondin, What Is the Hermeneutical Circle, The Blackwell Companion to Hermeneutics (Oxford, Blackwell, 2016).

Theodore George USA (Main Site) CSLI, Stanford University, Wed Dec 9, 2020, Stanford Encyclopedia of Philosophy.